كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد الأدبي القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: النقد الأدبي عند حازم القرطاجني

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Literary criticism at Hazem Al-Qartajani

مقرر الفصل الثاني

النقد الأدبي عند حازم القرطاجني

انتهت إلى حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) خلاصة الأفكار الأرسطية بخاصة واليونانية بعامة التي وجدت طريقها بشكل أو آخر إلى الفكر البلاغي والنقدي عند العرب وكتاب ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء)) هو ثمرة التلاقح بين ثقافتين، عربية ويونانية، وليس نسخًا أو ترجمة أو شرحًا أو تعليقًا على أفكار أرسطو أو غيره، ولهذا يصح القول إنَّ عمل حازم كان محاولة لتطبيق بعض أفكار أرسطو على الشعر العربي.

الكتاب والدافع لتأليفه:

كان الدافع لتأليف الكتاب في رأي حازم هو اختلال طباع الناس خاصة في زمانه، الأمر الذي أوجب تعلم تلك الصناعة، فإذا كان القدماء – على ما هم عليه من المقدرة والجود– بحاجة إلى التعلم الطويل فما بالك بأهل هذا الزمان، ويقول: إنَّ النظم صناعة وآلتها الطبع وقد عمل حازم على توضيح صناعة الشعر على نحو مفصَّل ودقيق، على وفق منهجية لا تقل شأنًا عن منهجية قدامة بن جعفر. وقسَّم كتابه على أربعة أقسام، أما القسم الأول فقد فُقِدَ ولم تصل منه إلا اشارات نقلها السبكي في كتابه(عروس الأفراح) والزركشي في كتابه (البرهان) ويبدو أنه يتناول القول وأجزاءه والأداء وطرقه.

أما القسم الثاني فيعالج المعاني، ويعالج القسم الثالث المباني، والقسم الرابع الأسلوب.

لقد استندت منهجية حازم في الكتاب إلى تقسيمه كما أشرنا على أقسام ثلاثة كبيرة جعل لكل قسم أربعة أبواب سمى كلّ باب منها بـ (منهج) وجعل المنهج يتفرَّع إلى (معلم) و (معرف) ثم فرَّعها إلى (إضاءة) و(تنوير).

بين قدامة وحازم:

يسد كتاب المنهاج القصور الذي وقع فيه قدامة في (نقد الشعر) إذ ظنَّ أنَّ نقد الشعر ينصب على الشعر بصفته كلاماً موزوناً فقط، فحازم يرى أن الشعر نتاج قوي مخيلته في نفس الشاعر من جهة، وهو ذو قوة فاعلة في نفس متلقيه، وإذن فهناك ثلاثة أركان في العملية كلها لابد من بحثها: الشاعر(الصانع) والشعر(المادة المصنوعة) والجمهور(وظيفة الشعر).

اما حازم فقد أراد ان يصلح الطباع التي داخلها الفساد والضعف والطبع الذي فسد هو طبع الشاعر الذي لا يعرف معنى الشعر.

وقد نستطيع أن نفسِّر الفرق بين الناقدين، إذ عرَّف قدامة الشعر بأنَّه كلام موزون مقفى يدل على معنى، وبذلك اقتصر مفهوم الشعر عنده على الشعر فحسب. أما حازم فقد كان واضحًا انه يرى في مفهوم قدامة للشعر بصفته كلامًا موزونًا فقط قصورًا، ولذلك جاء تعريفه للشعر متممًا لتعريف قدامة، إذ يقول: (الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمَّن من حسن تخييل ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام) ففي هذا الكلام الأركان الثلاثة التي أشرنا إليها، فكون الشعر كلامًا موزونًا ينصرف إلى الشعر نفسه، وكونه يحبب إلى النفس.. الخ ينصرف إلى مهمة الشعر وكونه كلامًا مخيلًا ينصرف إلى الشاعر وكلها تدخل فيما سمَّاه حازم (معاني الشعر) التي ترجع إلى وصف:

١- أحوال الأمور المحركة إلى القول (دوافع الشعر).
٢- أحوال المتحركين لها (الجمهور).
٣- أحوال المحركات والمحركين لها (الدوافع والجمهور)

وحازم شديد الاحتفاء بهذا حتى انَّه يعد حسن موقع المعاني في نفس الجمهور (أي اثره) شرطًا من شروط البلاغة والفصاحة وهذه المعاني التي يتكوّن منها الكلام وتكون حائزة على هذا الشرط هي ما يسميها(المعاني الجمهورية) أو المعاني الأول، ولذلك فإنَّ المعاني العلمية والصناعية (المتعلقة بصنائع أهل المهن) لا يحسن أن ترد في الشعر على هذا اتفق البصراء بهذهِ الصناعة كأبي الفرج قدامة وأضرابه.

وعدَّ حازم تأثير الشعر في النفوس نافع لكونه تخييلًا، فالشاعر عن طريق التخييل يوحى لقارئه بوقفة سلوكية لا بالقول المباشر بل برسم صورة يكون بينها وبين السلوك المرتجى علاقة الإشارة الموجهة، لذا فإنَّ قوة التخييل كما يرى الفلاسفة المسلمون هي تلك التي تستعيد صور الأشياء مع غياب حاملها عن حواسنا، وهي قوة دافعة جاذبة نحو ما هو نافع، أو دافعة عما هو ضار أو غير ملائم، وهذه القوة تقع وسطا بين الحسن والعقل.

الشاعر:

لا يتأتى للشاعر بالطبع القدرة على التخييل إلا بأسباب وهو ثلاثة:

١- مهيئات: النشئ في بقعة معتدلة الهواء و الترعرع بين الفصحاء.
٢-الأدوات: وهو كل ماله صلة بالعلوم المتعلقة بالألفاظ والمعاني.
٣-البواعث: وهي الحوافز والدوافع النفسية.

وحازم في كل هذا يستقي من التراث النقدي العربي فإن البيئة والتربية والنشأة والمعرفة اللغوية والنوازع النفسية كلها وردت عند الجاحظ وابن قتيبة والجرجاني...

والنظم يحتاج إلى قوة فكرية واهتداءات خاطرية كالقدرة على التشبيه وتصور كليات الشعر ومقاصده، وتصور القصيدة وبنائها والاهتداء إلى العبارات الحسنة الدالة عن المقصود وربط فصول القصيدة والأبيات والقدرة على التمييز بين القبيح والحسن في الكلام.

ماهية الشعر:

والتخييل عند حازم: أن تتمثَّل للسامع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه وتقوم في خياله صورة ينفعل لتجنبها وتصورها، ولأنَّ التخييل نابع للحس فهو يؤثر في النفس.

وأسباب تأثير التخييل في الشعر من أربعة انحاء من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب ومن جهة اللفظ ومن جهة النظم والوزن.

ويبدو من حديث حازم أن تخييل المعنى من جهة اللفظ، أي التعبير عن المعنى في قالب لفظي، ضروري إذ لا تخييل بدون ذلك، أما التخييل من الجهات الثلاث الأخرى فمستحبة وليست ضرورية لأنها مكملة للتخييل الأول وهي عون له على ما يراد من أنها من النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه.

المحاكاة:

في الشعر كما في سائر الفنون، تخييل يقصد به استعارة الصور الحسيَّة المخزونة في الذاكرة أو المعاني، وهو نشاط إبداعي يقوم به الشاعر والفنان، وهذا التخييل يتجسَّد في فعل المحاكاة التي هي الصورة المجسَّدة في الشعر صورة لفظية لتلك الصور والمعاني المختزنة في الذاكرة، لذلك فقوام عمل المخيلة الانسانية هو المحاكاة، وهذا ما يراه الفلاسفة المسلمون وتابعهم حازم.

تبنّى حازم رأي أرسطو في أنَّ المحاكاة غريزة في الانسان وهي أقوى في الانسان منها في الحيوان، وهي مصدر من مصادر الالتذاذ كما يقول حازم نقلًا عن ابن سينا في كتاب (الخطابة) و(كتاب الشفاء) يقول حازم: لما كانت النفوس قد جُبلت على التنبه لأنحاء المحاكاة واستعمالها والالتذاذ بها منذ الصبا، وكانت هذهِ الجبلة في الانسان أقوى منها في سائر الحيوان اشتد ولوع النفس بالتخييل وصارت شديدة الانفعال له.

وينطلق حازم في فهمه للمحاكاة من تصور عربي فالمحاكاة عنده تشبيه أولًا ويدخل في هذا الاستعارة والوصف، ولذلك نراه يقسم المحاكاة من جهة الواسطة إلى محاكاة الشيء ويسميها (المحاكاة المتحدة) ويريد بهذا الوصف ومحاكاة الشيء بغيره ويسميها (المحاكاة المزدوجة) لأنها تتكون من المثال والممثل. ويريد بذلك التشبيه ولا تخرج المحاكاة في رأي حازم عن حدود هذين النوعين (فلابد في كل محاكاة من أن تكون جارية على أحد هذين الطرفين وكلامه هذا صدى لرأي الفارابي في الموضوع.

ويرى الدكتور شكري عياد أنَّ حديث حازم عن المحاكاة التشبيهية أقرب الى (الخطابة) لأرسطو منها إلى (فن الشعر) أما محاكاة الوصف فهي الصق بالمحاكاة الأرسطية وهي بالضبط محاكاة الذوات كما تحدَّث عنها ابن سينا.

ويرى أن الشاعر ملزم في الوصف على وجه التفصيل أو الوصف على وجه الإجمال أن يأخذ أوصاف الشيء المتناهية في الحسن. إذا أراد التحسين أو المتناهية في القبح إذا أراد التقبيح ولهذا شروط:.

١-أن يبدأ بوصف الخطوط العريضة ومن بعدها التفاصيل.

٢-أن يلتزم النسق الصحيح في الترتيب لان النفس الانسانية تعاف فساد الترتيب كما في وضع النحر في صورة الحيوان بشكل غير تال للعنق وكذلك سائر الأعضاء.

أما المحاكاة التشبيهية فحديث حازم عنها أكثر تفضيلًا سبب ذلك أنَّ محاكاة التشبيه (أطرف واكثر جدة) ولأنها تعتمد على الموازنة وحسن اقتران الشيء الحقيقي بالشيء المجازي.

إن الصفة المشتركة قد لا تكون واحدة في كل انواع المحاكاة، فهناك صفات مشتركه في الهيئة أو في اللون أو في المقدار، فإذا كانت المحاكاة، هيئة لا يلتفت إلى الاختلاف في اللون مثلًا بين طرفي المحاكاة. إنَّ تشبيه الذباب بالقادح في بيت عنترة:

غــردًا يحــك ذراعــه بذراعــه فعلَ المكب على الزِّناد الأجذم

محاكاة يقصد منها ابراز الهيئة لا المقدار ولا اللون ولا أيَّة صفة أخرى.